

جامعة إفريقيا العالمية

المركـز الإسلامــي الإفريقــي

المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية

(بمناسبة مرور (١٤) قرناً على نزوله)

٢٠ ـ ٢٢ محرم ١٤٣٣هـ ، الموافق ١٥ ـ ١٧ ديسمبر ٢٠١١م

الخرطوم ـ السودان

لجنة الأوراق والسكرتارية

الأوراق العلمية

(الكتاب الثالث)

الإخراج الفني والتصميم

الأستاذ: طارق فاروق عبدالله هارون

الأستاذ: عبدالرحمن محمد الوسيلة

تصميم الغلاف

الشيخ الأمير

محرم ١٤٣٣هـ / نوفمبر ٢٠١١م

لجنة الأوراق والسكرتارية

١) الدكتور/ عمر أحمد سعيد	رئيساً .
٢) الدكتور/ عبدالقيوم عبدالحليم الحسن	رئيساً مناوباً.
٣) الدكتور/ كمال محمد جاه الله	عضواً .
٤) الدكتور/ محمد عبدالقادر محمد	عضواً
٥) الدكتور/ يوسف خميس أبورفاس	عضواً .
٦) الدكتور/ المعتصم محمد الأمين	عضواً .
٧) الأستاذ/ طارق فاروق عبدالله هارون	عضواً مقرراً .
٨) السماني علي أحمد	عضواً .



(أ)

المحتويات

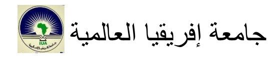


(ب)

مقدمة الكتاب:

نضع بين يديك- عزيزي القاريء- هذه المجموعة من الأوراق العلمية التي كتبت بأقلام متنوعة، قد تكون مختلفة في تناولها للقضايا التي تطرحها، لكن يجمعها أنها تصب في بحيرة واحدة تمثل محاور المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في الحضارة الإنسانية الذي تداعت له أقلام الباحثين بمختلف مشاربهم وتخصصاتهم.

الحق أن هذه الأوراق المشار إليها ما كان لها أن تكون بهذه الصورة التي عليها الآن لولا اجتيازها لعدد من المحطات، التي تأتي في مقدمتها، تحكيم مستخلصها وإعادة تحريرها عبر لجنة مختصة، ومن ثم تحكيم الورقة نفسها عبر لجنة مختصة أيضا، ومن ثم تصحيحها لغوياً بواسطة لغوي متميز في مضمار التدقيق اللغوي.



ارتكازاً على ذلك ندرك مدى الجهد الذي بذل في إعداد محتويات هذا المجلد من الأوراق العلمية التي نأمل أن تقع موقعاً حسناً عند القرّاء فذاك ما نصبو إليه، والله ولي التوفيق.

Online Publishing Committee لجنة التغطية الالكترونية

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار



تقديم الكتاب

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يؤدي هذا المؤتمر العلمي مهمته، كاملة في التعريف بدور القرآن في تشكيل الحياة الإنسانية على استحالة ذلك بالطبع. لأن لهذا الكتاب الإلهي إسهاماته التي تبدو وكأنها لا متناهية في تشكيل التاريخ الإنساني، وتشكيل الفضاء العام وتشكيل العقل والوجدان وكل ما يتعلق بالإنسان ودوره في هذه الحياة.

كل ذلك لان القرآن خطاب الله الكامل للإنسان ،الكتاب الجامع المفتوح للدراسة والتأمل في كل زمان ومكان ،هو مصدر المعارف الدائم يَعْظُم من يأخذ منه ،ويَشْرُف من يلجأ إليه، مورد الخير ومنبع البركة والنعمة وهو الحبل المتين والقوة التي لا تلين. لكل ذلك لم ينقطع الاهتمام به والاحتفاء بعظمته منذ أن نزل وسيظل كذلك إلى ما شاء الله. كما أن الإسلام، حتى وفي ظروف الكبت والإقصاء والتهميش، ظل بفضل هذا الكتاب يُمثل المرجعية للأفراد والمجتمعات سراً وباطناً في ظل أوضاع الاضطهاد والحرب ومحاكم التفتيش التي ما تزال دائرة في بعض بقاع الأرض.

والحق أن اهتمام جامعة إفريقيا وأهل السودان به لم يأت من فراغ، وإنما يعود ذلك إلى الأهداف والوجهة الأولى للمركز الإسلامي الإفريقي، نواة هذه الجامعة، التي احتضنها أهل السودان شعباً وحكومةً، وآزرهم عليها قوم كرام وحكومات وهيئات كريمة ،وهي ذات الجهات التي تدعم اليوم مؤتمر القرآن الكريم.

ولا يزال القرآن الكريم من أكبر اهتمامات جامعة إفريقيا المتمثلة في مطلوبات الجامعة المهولة من القرآن ودراساته، وحلقاته العامرة في مساجدها وقاعاتها.

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار



"المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية" جاء عنواناً لهذا التجمع القرآني الكبير . عنواناً تنطوي تحته محاور تركز في مجملها على إسهام القرآن في حضارة الإنسان في كل مجالات الإسهام . نتج عنه هذه الأوراق التي تصب بحوثها في خدمه القرآن وإبراز دوره الحضاري.

(د)

هذا المؤتمر مجرد محاوله متواضعة لقراءة دور القرآن في بناء المجتمعات الإسلامية وكذلك معرفة إسهام العلوم التي بثها العقل الإسلامي في إعادة تشكيل العقل الإنساني الذي قاد لحضارة العلمية الحديثة، كما أن القرآن يظل وراء كل حدث كبير، وما التحولات الجارية في العالم الإسلامي اليوم إلا صدىً لهذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، لان القرآن وراء ازدهار المساجد ووراء إعمار الشباب لدور العبادة، ووراء العودة لله، والقرآن هو التجويد والعلم والعقل والتدبر، وطهارة اليد واللسان والعفة، وطهارة العقل والبنان وطهارة الجنان– وفي إطار هذه المعاني يجئ هذا المؤتمر.

ولكي يظهر المؤتمر في الصورة اللائقة بعظمة القرآن حرصت الجامعة على البرامج المصاحبة ومن بينها معرض القرآن الكريم الذي يبرز جهود أهل القرآن بالسودان وغيره من البلدان، الجهود الرسمية والشعبية القديمة منها والحديثة.

كما تشمل التظاهرة حدثاً قرآنياً كبيراً تتجمع فيه خلاوي السودان بفسيفسائها وأطيافها المختلفة حول " تُقَّابة القرآن " نار القرآن العظمى التي تجسد تقاليد أهل السودان في تعليم القرآن ودراسته.

بالإضافة لذلك فأن هذه التظاهرة ستشهد مشاركة وفعاليات واسعة من الشخصيات والمؤسسات المعنية بالقرآن محلياً وإقليميا وعالمياً بما يبلور عظمه القرآن وجلاله.

Online Publishing Committee لجنة التغطية الالكترونية

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

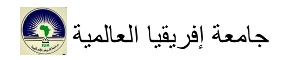


وأنا، إذ أقدم هذا الكتاب للمؤتمرين والقراء وأصحاب الشأن والاهتمام ، لا أشك في أن قيام هذا المؤتمر بهذه الصورة سيجلب الخير والبركة لجامعة إفريقيا ومجتمعها، وللسودان وأهله ودولته، عليه اسأل الله أن يكون في كل ذلك عملاً صالحاً وجهداً مباركاً، وان يكون لهذا الكتاب الذي يحتوي على طائفة من الأوراق المقدمة في المؤتمر فائدة عامة ودور ايجابي في التعريف بالمؤتمر بما يشحذ الهمم ويثير القرائح للإسهام في نجاحه وازدهاره .

واسأله تعالى أيضاً أن يكون هذا المؤتمر مجرد فاتحة لمئات المؤتمرات التي تتناول هذا الشأن.

والله ولي التوفيق،،

بروفيسور/ حسن مكي محمد أحمد
مدير جامعة إفريقيا العالمية

International University of Africa IUA جامعة إفريقيا العالمية
المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية

THE HOLLY QURAN: INTERNATIONAL CONFERECE

الأسس القرآنية للفكر التوحيدي
لمدارس العقيدة وعلم الكلام

المحور الأول: الرؤية التوحيدية في بناء العقل العلمي في القرآن الكريم
(توحيد العقيدة في القرآن الكريم)

إعداد:
الدكتور قاسم جاخاتي
أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

Online Publishing Committee لجنة التغطية الالكترونية
د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار



جامعة شيخ أنتا جوب – داكار - السنغال

khdiakhate@hotmail.com

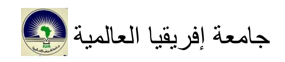


ملخص البحث:

تهدف هذه الورقة إلى إلقاء الضوء على الأسس القرآنية التي استند عليها علماء أهل السنة والمعتزلة وغيرهما في أثناء قيامهم ببناء أفكارهم وآرائهم في مجالات العقيدة والتوحيد، وتتضمن الورقة مبحثا في الإلهيات يُعنى بقضايا أسماء الله وصفاته، وبالآيات التي تدل عليها ويرجع إليها العلماء في تعريفهم أنواع التوحيد المختلفة، ومبحثا في النبوات يحلّل شخصية النبي ورسالته ومسئولياته، على ضوء المعطيات القرآنية، ومبحثا في السمعيات يعالج أحوال الموت والقبر، والحشر والنشر، والحساب والعقاب والثواب، وأحداث القيامة.

RESUME

La présente communication tente d'expliquer les fondements coraniques de la pensée monothéiste de grandes écoles de la théologie scolastique musulmane, et plus particulièrement les Sunnites, les Mutazilites et les khâridjites. Le Coran constitue le plus important référentiel des Docteurs musulmans dont la doctrine monothéiste tourne essentiellement autour des Noms et Attributs divins, des prophètes ainsi que leurs missions, et des



questions eschatologiques. Les procédés utilisés par ces Docteurs pour démontrer la pertinence de leurs réflexions sur les questions traitées et leur conformité avec les données coraniques en la matière, sont examinés et largement expliqués dans ce travail.



المقدمة:

نقرأ في مستهلّ هذه الورقة، آيتين في بداية سورة الفرقان (١ و ٢) تعبّران عن مكانة القرآن، وأهمية النبوة، وشمولية التوحيد، قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ **[الفرقان: ١ – ٢].**

فالقرآن الكريم هو المصدر الرئيس للفكر الإسلامي، وقد كان مصدر التشريع للأمة والمرجع الأساسي لها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي عصر الخلافة الراشدة، ولما أراد المسلمون حَقْن دمائهم في أثناء معركة صِفِّين التي أشعلتها نار الفتنة الكبرى، التي اندلعت بعد مقتل ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان، دعوا إلى الاحتكام بكتاب الله، وظل القرآن الكريم يشكل محور المناظرات التي دارت بين رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب وفرق الخوارج المنشقة من معسكره، وجرت الأمور على نفس المنوال مع الفرق ومدارس التوحيد وعلم الكلام التي نشأت وتطورت بعد ذلك في العصرين الأموي والعباسي. ثم اتسعت فيما بعد رقعة المسائل التي وُضِعت على بساط البحث وأُدخل فيها شعوبُ البلاد المفتوحة فنونا وأنماطا من النقاش والجدل لم تكن معروفة قبل ذلك في الجزيرة العربية.

وقد احتلت معطيات القرآن الكريم الصدارة في صياغة الحجج التي استند عليها علماء العقيدة وعلم الكلام للبرهنة على وجاهة آرائهم وارتكازها على قواعد إسلامية

صحيحة. وتُثير إشكالية هذا البحث تساؤلات حول الأسس القرآنية التي بنى عليها العلماء المذكورون مفاهيمهم للتوحيد والعقيدة، وحول المناهج والأساليب التي استعملوها لتحقيق أغراضهم، وكذلك الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك، وسنمعِن النظر في أوجه الشبه أو الاختلاف الكامنة في آرائهم وأفكارهم، وسنحلّل سبل معالجتهم وفهمهم لآيات التوحيد والعقيدة الواردة في القرآن الكريم. وسنتناول في هذه الدراسة ثلاثة مباحث رئيسة، وهي: مبحث الإلهيات، ومبحث النبوات، ومبحث السمعيات.

المبحث الأول: الإلهيات:

والإلهيات التي ندرسها في هذا الإطار عبارة عن: "علم يبحث عن الله وما يتعلق به تعالى"[i]، وتقع الإلهيات بمفهومها المذكور في بداية تعريف علم الكلام الذي اختاره الإمام محمد بن يوسف السنوسي نقلا من الشيخ ابن عرفة: " العلم بأحكام الألوهية، وإرسال الرسل وصدقها في كل أخبارها، وما يتوقف شيء من ذلك عليه خاصا به، وتقرير أدلتها بقوة هي مظنة لرد الشبهات، وحل الشكوك"[ii]. وعرّف ابن خلدون علم الكلام بالعبارات التالية: "هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"، وأضاف ابن خلدون بأن سر العقائد الإيمانية التي أشار إليها في التعريف هي التوحيد[iii]. وعرّف الشريف الجرجاني التوحيد لغة واصطلاحا: "التوحيد في اللغة الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد وفي اصطلاح أهل الحقيقة، تجريد الذات الإلهيّة عن كل ما يُتصوّر في الأفهام ويُتخيّل

في الأوهام والأذهان"، وقسّم الشريف الجرجاني التوحيد إلى ثلاثة أقسام: "التوحيد ثلاثة أشياء: معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة"[iv]. وقد أوضح الإمام تقي الدين ابن تيمية الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية: "ولما كان علمُ النفوس بحاجتهم وفقْرِهم إلى **الربّ** قبل علمهم بحاجتهم وفقرهم إلى **الإله المعبود**، وقصدهم لدفع حاجاتهم العاجلة قبل الآجلة، كان إقرارهم بالله من جهة **ربوبيته** أسبق من إقرارهم به من جهة **ألوهيته،** وكان الدعاء له والاستعانة به والتوكل عليه فيهم أكثر من العبادة له والإنابة إليه" وذكر الإمام ابن تيمية آيتين من القرآن الكريم؛ لتأكيد رأيه الأولى هي الآية رقم (٨٧) من سورة الزخرف: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾، والثانية هي الآية رقم (٣٢) من سورة لقمان: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ ، وبيّن أن المشركين أقروا بربوبية الله في الآية رقم (٨٧)، وفي الآية رقم (٣٢) أوضح أنهم مخلصون له الدين في دعائهم واستعانتهم إذا مسهم الضر، ثم يعرضون عن عبادته في حال حصول أغراضهم[v].

ويرى الإمام ابن تيمية أن توحيد الربوبية أمر طبيعي وعفوي في الإنسان على عكس توحيد الألوهية الذي تدعو الحاجة إلى الدعوة إليه، وتَطَلَّبَ ذلك إرسال الرسل للقيام بها؛ "ولهذا إنما بعث الرسل يدعونهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له"[vi]. ويأتي بعد توحيد "معرفة الله بالربوبية" توحيدُ "الإقرار بالوحدانية ونفي الأنداد عنه جملة"[vii]، وهذا ما بينه ابن قيم الجوزية بالعبارات التالية: "وإنما توحيده: إثبات صفات كماله، وتنزيهه عن التشبيه والنقائص"، ثم



أشار إلى وجهة نظر المعتزلة وفرق أخرى في هذا المجال: "فجعل المعطلة جحد الصفات وتعطيل الصانع عنها توحيدا، وجعلوا إثباتها لله تشبيها وتركيبا"[(viii)].

ونفهم مما سبق أن العلاقة التي تربط التوحيد بأسماء الله وصفاته قوية وعميقة إلى درجة يكاد يكون مستحيلا أن يستغني عنها كل من يسعى إلى معرفة التوحيد بأبعاده المختلفة، ولهذا السبب رجع المتخصصون في علم التوحيد إلى الآيات القرآنية التي تعالج موضوع الأسماء والصفات واستندوا عليها في بناء أفكارهم وآرائهم التوحيدية، وهذا ما سنحاول دراسته فيما يلي.

أ- موضوع الأسماء والصفات في القرآن الكريم:

وردت في القرآن الكريم آيات لها علاقة مباشرة بأسمائه تعالى وصفاته، نذكر منها قوله تعالى في سورة البقرة الآية (١٦٣): ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾، ولما نزلت هذه الآية قالت كفار قريش، كما رواه الإمام القرطبي، والإمام ابن كثير وغيرهما من كبار علماء التفسير، "كيف يسع الناس إله واحد؟ هل من دليل على ذلك؟ فذكر الله الدليل على تفرّده بالأُلُهية بخلق السماوات والأرض وما فيهما وما بين ذلك من المخلوقات الدالة على وحدانيته في الآية رقم (١٦٤) من السورة نفسها: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ

وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[ix]، وقوله في سورة الأنبياء آية (٢٢): ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ، والمعنى: لو كان فيهما إلهان لفسد التدبير؛ لأن أحدهما إن أراد شيئا والآخر ضده، كان عاجزا، وهلك من فيهما نتيجة التنازع الواقع بينهما، ولكن الله نزه نفسه أن يكون فيهما إله سواه، وأمر العباد أن ينزهوه عن أن يكون له شريك أو ولد[x]، وقوله في سورة الشورى آية (١١): ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾. تصف الآية الكريمة الخالق جل وعلا، وعملية خلقه للمخلوقات وطبيعته، وتؤكد بأنه فرد لا نظير له. وحسب توضيح الإمام القرطبي: "والذي يُعتقد في هذا الباب أن الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه وعلوّ صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يُشبَّه به، وإنما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق والمخلوق، فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي؛ إذ صفات القديم جل وعز بخلاف صفات المخلوق؛ إذ صفاتهم لا تنفك عن الأغراض والأعراض، وهو تعالى منزه عن ذلك"، ثم ذكر الإمام القرطبي تعريفا للتوحيد نسبه إلى من وصفه ببعض العلماء المحققين صرّح فيه أن " التوحيد إثبات ذات غير مشبه للذوات ولا معطلة من الصفات"، ثم أضاف الإمام القرطبي إلى ذلك عبارات قريبة بالأولى نسبها إلى الواسطي، وهي: "ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا

كفعله فعل، ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة؛ كما استحال أن يكون للذات المحدثة صفة قديمة". واختتم الإمام القرطبي الموضوع بقوله: "وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة، رضي الله عنهم"[(xi)]. فهمنا من الأسماء والصفات التي تضمنتها الآيات السابقة جوانب مهمة من حقائق التوحيد استفاد منها المتخصصون في هذا المجال، ووجدنا في التوضيحات التي قدمها الإمام القرطبي في نهاية المسألة ما يمهّد لنا الدخول في صلب موضوع الدراسات التي خلفتها لنا مدارس العقيدة وعلم الكلام حول توحيد الأسماء والصفات.

ب- توحيد الأسماء والصفات عند مدارس العقيدة وعلم الكلام:

لا ريب في أن توحيد الأسماء والصفات لدى مدارس العقيدة وعلم الكلام موضوع معقد وشائك، ولهذا السبب لا يمكننا أن نخصّص له- في نطاق هذا العمل المحدود- ما يستحق من الشرح والتحليل، وسنحاول تحديد معالجتنا له على نقاطها الأساسية وأفكارها الرئيسة. ونود أن نعطي أولا فكرة عن هذه المدارس وعن موقفها تجاه الأسماء والصفات، ويُمكن تقسيمها إلى فئتين:

١- **الفئة الأولى:** ترى "أن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له" ويؤيد هذا الرأي أهل السنة والصفاتية، أي مثبتي صفات الله الذاتية والفعلية الذين "يرون قيام الصفات به فيقولون إن لله مشيئة قديمة، وكلام قديم الخ.

٢- **الفئة الثانية:** تنفي قيام الصفات بالله "لاعتقادها أن الصفات أعراض، وأن قيام العرض به يقتضي حدوثه أيضا"، ولهذا السبب أكدوا أن القرآن مخلوق، وأن الله ليس له "مشيئة قائمة به، ولا حب ولا بغض، ونحو ذلك". وبيّن مُفكروا هذه الفئة "أن الله تعالى واحد في ذاته، لا قسمة ولا صفة له، وواحد في أفعاله لا شريك له، فلا قديم غير ذاته، ولا قسيم له في أفعاله. ومُحالٌ وجودُ قديمين، ومقدورٌ بين قادرين"، ويُعرف أنصارُ هذا الرأي بالمعتزلة أو أهل العدل. وتجدر الإشارة إلى أن هناك تيارات فكرية أخرى تشاطرهم هذا الرأي[xii].

ج- الآيات القرآنية المتعلقة بالأسماء والصفات :

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تتضمن أسماء الله وصفاته، رجع إليها العلماء في مؤلفاتهم وفتاواهم ذات الصلة بالعقيدة والتوحيد، ونظرا لكثرتها وتنوعها وصعوبة بحث كافة جوانبها، رأينا أن نركز تحليلاتنا على دراسات متميزة، تعكس مجمل آراء أهل السنة في هذا المجال، كرّسها للموضوع الحافظ أبو بكر البيهقي، والإمام ابن تيمية، وأن نلقي ضوءا على جملة من آيات الأسماء والصفات التي اختلف أهل السنة والمعتزلة في تفسيرها والاستدلال بها.

ج-١: آراء الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات:



بدأ الحافظ البيهقي عرض أفكاره في موضوع الأسماء والصفات بقوله تعالى في سورة الحشر، الآيات (٢٢، ٢٣، ٢٤): ﴿ گ ں ں ڻ ڻ ڼ ﯪ ﮤ ﮦ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾. ولعلّ سرّ وضع الحافظ البيهقي الآيات المذكورة في بداية معالجته للموضوع يرجع إلى تضمنها أمثلة لمعظم الأسماء والصفات التي تشكل قاعدة المسألة. ونلاحظ تكرارَ كلمة الله بطريقة خاصة في الآيات الثلاثة، ومن المحتمل أن تكون خصوصية هذا الاسم المبرّرَ الحقيقي لذلك. وقد اعتبره الإمام القرطبي "أكبر أسمائه سبحانه وأجمعها، حتى قال بعض العلماء: إنه اسم الله الأعظم ولم يسم به غيره؛ فالله اسم للموجود الحق الجامع لصفات الأُلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي، الخ[xiii].

سبق أن أشرنا إلى الطبيعة المعقدة والشائكة لموضوع الأسماء والصفات، ومن أسباب ذلك تعدد الآراء والأفكار التي أبديت حولها، وسنتبنى فيما يلي تقسيم الحافظ البيهقي للأسماء والصفات للأسباب التي بيناها آنفا.

بيّن الحافظ البيهقي أن "لله –عز اسمه– أسماء وصفات، وأن أسماءه هي صفاته، وأن صفاته هي أوصافه، وأنها تنقسم إلى قسمين، أي إلى **صفات ذات** و**صفات فعل:**

١) فصفات ذاته:

هي التي يستحقها تعالى فيما لم يزل ولا يزال، وتنقسم إلى قسمين: **عقلي** و**سمعي:**

أ- **فالعقلي:** ما كان طريق إثباته **أدلة العقول مع ورود السمع به،** وقد وزع الحافظ البيهقي العقلي إلى جزأين، **فالجزء الأول** عبارة عما "يدل خبر المخبر به عنه، ووصف الواصف له به على **ذاته،** كوصف الواصف له بأنه **شيء ذات موجود قديم إله ملك قدوس جليل عظيم متكبر،** وبيّن الحافظ البيهقي أن الاسم والمسمى واحد في هذا الجزء. أما **الجزء الثاني** فهو ما يدل خبر المخبر به عنه ووصف الواصف له به على صفات زائدات على ذاته قائمات به، وهو كوصف الواصف له بأنه **حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم باق؛** فدلت هذه الأوصاف على صفات زائدة على ذاته قائمة به: **كحياته،** و**علمه،** و**قدرته،** و**إرادته،** و**سمعه،** و**بصره،** و**كلامه،** و**بقائه،** والاسم في هذا القسم صفة قائمة بذاته لا يقال إنها هي المسمى.

ب- **أما السمعي:** فهو ما كان طريق إثباته الكتاب والسنة فقط، كالوجه واليدين والعين، وهذه أيضا صفات قائمة بذاته، لا يقال فيها إنها هي المسمى ولا غير المسمى، ولا يجوز تكييفها فالوجه له صفة وليست بصورة، واليدان له صفتان وليستا بجارحتين، والعين له صفة وليست بحدقة. وطريق إثباتها له صفات أخبر بها الكتاب والسنة[xiv].

٢) صفات الفعل:



عرف الحافظ البيهقي صفات فعله تعالى بتسميات مشتقة من أفعال الله ورد السمع بها؛ لأن الأفعال التي اشتقت منها لم تكن في الأزل، وهو كوصف الواصف له بأنه **خالق، رازق، محي مميت، منعم، مفضل**. وبيّن أن التسمية في هذا القسم، إن كانت من الله عز وجل، فهي صفة قائمة بذاته، وهو كلامه، ولذلك لا يقال إنها المسمى ولا غير المسمى. وإن كانت التسمية من المخلوق، فهي في هذه الصفة غير المسمى(xv).

وقد ذكر الإمام البيهقي آيات مختلفة وردت في صفات يستحقها الله عز وجل بذاته، وهي: الآية رقم (٢٥٥) من سورة البقرة : "**وهو العلي العظيم**"، والآية رقم (٢٣) من سورة سبأ: **وهو العلي الكبير**"، والآية رقم (٢٦) من سورة لقمان: "**وهو الغني الحميد**"، والآية رقم (٣) من سورة الحديد: "**هو الأول والآخر والظاهر والباطن**"، والآيتان رقم (١-٢) من سورة الإخلاص: "**قل هو الله أحد الله الصمد**"، والآية رقم (٢٥) من سورة النور: "**هو الحق المبين**"، والآية رقم (٧٣) من سورة هود: "**إنه حميد مجد**"، والآية رقم (٩) من سورة الرعد، والآية رقم (٦٥) من سورة ص، والآية رقم ٤٠ من سورة الأنفال: "**نعم المولى ونعم النصير**"، والآية رقم (٦٥) من سورة يونس: "**إن العزة لله جميعا**"، والآية رقم (١٣٩) من سورة النساء: "**أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا**"، والآية رقم (٢٧) من سورة الرحمن: "**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**"، والآية رقم ٧٨ من سورة الرحمان: "**تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام**"، والآية رقم (٣٧) من سورة الجاثية: "**وله الكبرياء في السموات والأرض**". ويعتبر البيهقي الصفات المذكورة



وأمثالها من كمال أوصاف الأُلهية، وبناء على ذلك يجب إثبات كل مدح له ونفي كل نقص عنه([xvi]).

ج-٢: آراء الإمام ابن تيمية في آيات الأسماء والصفات:

أعظم آيات الصفات:

وقد تناول الإمام تقي الدين ابن تيمية موضوع الأسماء والصفات في صفحات مختلفات من كتبه، وقد أكد في **الفتاوى الكبرى** أن "أعظم آيات الصفات: **آية الكرسي** التي هي أعظم آية في القرآن، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح، **(وقل هو الله أحد)** التي تعدل ربع القرآن، كما استفاضت بذلك الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك **فاتحة الكتاب** التي لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها، كما ثبت ذلك في الصحيح أيضا، وهي أم القرآن التي لا تجزئ الصلاة إلا بها. فإن قوله: "**الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين...**"، كل ذلك من آيات الصفات باتفاق المسلمين". وذكر الإمام تيمية أيضا أن "**بسم الله الرحمن الرحيم**" من آيات الصفات، وكذلك أول سورة الحديد إلى قوله:" **والله بما تعملون بصير**"، هي من آيات الصفات، وكذلك آخر سورة الحشر، هي من أعظم آيات الصفات، بل جميع أسماء الله الحسنى هي مما وصف به نفسه كقوله: **(الغفور الرحيم، العزيز الحكيم، العليم القدير، العلي العظيم، الكبير المتعال، العزيز القوي، الرزاق ذو القوة المتين، الغفور الودود، ذو العرش المجيد، فعال لما يريد)**، وما أخبر الله بعلمه وقدرته، ومشيئته، ورحمته، وعفوه،

ومغفرته، ورضاه، وسخطه، ومحبته وبغضه، وسمعه وبصره، وعلوه وكبريائه، وعظمته، وغير ذلك من آيات الصفات"[(xvii)].

وفي كتاب الرسالة التدمرية، رجع الإمام ابن تيمية إلى الآيات المذكورة وغيرها للبرهنة على صحة فكره التوحيدي المتعلق بالأسماء والصفات، وبيّن أن الأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله، نفيا وإثباتا؛ فيُثْبَت لله ما أثبته لنفسه، ويُنفى عنه ما نفاه عن نفسه"([xviii]). وقد عُلم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثباتُ ما أثبته من الصفات، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع إثبات ما أثبته من الصفات، من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته؛ فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته، كما قال تعالى (سورة الأعراف، آية ١٨٠): ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ ، وكما قال تعالى أيضا(سورة فصلت، آية ٤٠): ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [(xix)].

وأوضح الإمام ابن تيمية أن طريق سلف الأمة وأئمتها يتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل، كما قال تعالى (سورة الشورى، آية ١١): ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ ، وشرح الإمام ابن تيمية بأن قوله تعالى (ليس كمثله شيء)



يتضمن ردا على الذين يشبهونه بمخلوقاته والذين يجدون له مثيلا، وتفنيدا لهم. كما يدل قوله تعالى: "**وهو السميع البصير**" خطأ آراء الذين ينكرون صفاته تعالى وينادون بتعطيلها. وفي هذا السياق أكد الإمام ابن تيمية أن الله سبحانه بعث رسله، فأثبتوا لله الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل، كما قال تعالى (في سورة مريم، آية ٦٥): ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ﴾. وأخبر بأن معنى "هل تعلم له سميا" عند علماء اللغة هو: هل تعلم له نظيرا يستحق مثل اسمه، وهذا المعنى هو الذي روي أيضا عن ابن عباس[xx].

اتفاق الأسماء والصفات وعدم تماثلهما في القرآن الكريم:

ثم تطرق ابن تيمية إلى مسألة عدم تماثل أسماء الله وصفاته بأسماء وصفات مخلوقاته و شرح أن الله سمّى نفسه بأسماء، وسمى صفاته بأسماء؛ "وكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره، وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم، مضافة إليهم، توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفاق الاسمين وتماثل مسماهما وإتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص، اتفاقهما ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص[xxi].

ومن الأمثلة القرآنية التي عرضها الإمام تيمية قوله تعالى في سورة البقرة، آية (٢٥٥): ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ ، سمى الله نفسه حيا في هذه

الآية، وسمى بعض عباده حيا في الآية (١٩) من سورة الروم: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾، فلفظ الحي في الآية الأولى ليس متماثلا بنظيره في الآية الثانية؛ لأنه اسم لله مختص به في قوله الحي القيوم، أما في قوله يخرج الحي من الميت، فهو اسم للحي المخلوق مختص به ، والاسمان متفقان إذا أطلقا مجردين عن التخصيص، وخلص الإمام ابن تيمية إلى القول بأن هذه القاعدة قابلة للتطبيق "في جميع أسماء الله وصفاته"، الأمر الذي يفهم منه ما دل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق، وما دل عليه بالإضافة والاختصاص اللذين يمنعان من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى(xxii).

وهكذا، عرض الإمام ابن تيمية، في عدة صفحات آيات قرآنية كثيرة تتضمن أسماء وصفات لها مدلول مزدوج ننقل منها المثالين التاليين: "وكذلك سمى نفسه سميعا بصيرا، فقال في (سورة النساء، آية ٥٨): ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ ، وسمى بعض عباده سميعا بصيرا فقال في (سورة الإنسان، آية ٢): ﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ ، وليس السميع في الآية الأولى كالسميع في الآية الثانية، وكذلك الأمر بالنسبة للبصير في الآيتين. "وسمى نفسه بالرؤوف الرحيم، فقال (في سورة البقرة، آية ١٤٣): ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ ، وسمى بعض عباده بالرؤوف الرحيم فقال (في سورة التوبة، آية ١٢٨): ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ

حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾، والرؤوف والرحيم في الآيتين ليسا متماثلين[xxiii].

ج :٣ - إختلاف أهل السنة والمعتزلة في تفسير بعض الآيات والاستدلال بها:

يوجد بين أهل السنة والمعتزلة اختلاف منهجي وفكري واضح في فهم آيات الأسماء والصفات وتفسيرها والاستدلال بها. وذكر الإمام الأشعري مؤسس مدرسة الأشعرية في علم الكلام بأن المعتزلة أجمعت على "أن الله واحد **ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير**"، إلى قوله: "ولا يجوز عليه الفناء، ولا يلحقه العجز والنقص، تقدس عن ملامسة النساء، وعن اتخاذ الصاحبة والأبناء"، ثم أوضح الإمام الأشعري أن ذلك يمثل جملة آراء المعتزلة والخوارج وطوائف من المرجئة وطوائف من الشيعة[xxiv]. وبين الإمام الأشعري أن أكثر المعتزلة والخوارج وكثير من المرجئة وبعض الزيدية قالوا: "إن الله عالم قادر حي بنفسه، لا بعلم وقدرة وحياة، وأطلقوا أن لله علما بمعنى أنه عالم، وله قدرة بمعنى أنه قادر، ولم يطلقوا ذلك على الحياة ولم يقولوا: له حياة، ولا قالوا سمْع ولا بصر، وإنما قالوا: قوة وعلم؛ لأن الله سبحانه أطلق ذلك"[xxv].واعترض الإمام الأشعري على فكرة نفي الصفات بقوله: "ونثبت لله السمع والبصر، ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج[xxvi]، ومن ناحية أخرى، روى الإمام الأشعري أن المعتزلة والخوارج وكثير من المرجئة والزيدية قالوا إن الله غني عزيز عظيم جليل الخ، لا لعزة وعظمة وجلال الخ، وكذلك قالوا: "إنه واحد فرد موجود باق رفيع، إنه لم يوصف



بذلك لإلهية وبقاء ووحدانية ووجود، وكذلك سائر الصفات التي ليست صفاته ولم يوصف بها لمعان"(xxvii).

وفي الإبانة عن أصول الدين أخبر الإمام الأشعري بأن "كثيرا من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم، ومن مضى من أسلافهم فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل به الله سلطانا، ولا أوضح به برهانا، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين"(xxviii)، ومن الآيات التي أولها المعتزلة قوله تعالى في سورة الأعراف، آية (٥٤)، وفي سورة يونس، آية (٣)، الخ: "**ثم استوى على العرش**"، ومعنى "ثم استوى" في الآية، حسب تعبير المفكر المعتزلي القاضي عبد الجبار: "ثم دبّر وتصرف فيما هو مسئول عليه، فأدخل **ثم** فيه وأُريد به التدبير والتصرف، لأنه تعالى لا يصير مستويا بعد ما لم يكن كذلك"(xxix)، وقد رفض الإمام الأشعري التأويل المعتزلي وأثبت أن الله استوى على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواء منزها عن الممارسة، والاستقرار، والتمكن والحلول والانتقال(xxx). ورفض كذلك رأي المعتزلة القائل بأن كلام الله محدث، ودليل القاضي عبد الجبار على ذلك هو أن كون كلام الله قديما يقتضي كونه مشاركا لله عز وجل في سائر الصفات التي لأجل اختصاصه بها وجب كونه إلها، وهذا يوجب كون كلامه تعالى إلها، وأضاف القاضي عبد الجبار بأن ما خالف القديم عز وجل في بعض صفاته الذاتية فتجب استحالة كونه قديما، وذلك يوجب حدوث كلام الله سبحانه. ثم بين أن كتاب الله جل وعز يدل على حدوث كلامه؛لأنه تعالى بعد

أن بين أن الذكر هو القرآن بقوله(في سورة الحجر، آية ٩): ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾، إلى قوله (في سورة الشعراء، آية ٥): ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ ﴾، وعلّق عليه قائلا بأن "هذا نص في حدوث كلامه"[xxxi] وقد فند الإمام الأشعري هذا الرأي، وأيد أن كلام الله غير مخلوق، وأنه سبحانه لم يخلق شيئا إلا وقد قال له: "كن"، كما قال (في سورة النحل، آية٤٠): ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾[xxxii]. نكتفي بالنماذج التي ذكرناها؛ لأن نطاق البحث المحدود لا يسمح لنا باستيعاب الموضوع الواسع برمته، وننتقل الآن إلى مبحث النبوات.

المبحث الثاني: النبوات :

عرّف الإمام السنوسي **النبوة**، وبدأ التعريف بالمفهوم اللغوي للكلمة الذي يحتمل وجهين، أي يُكتب لفظ النبوة مهموزا وغير مهموز؛ وإذا كُتِبَ اللفظُ مع همزة فوق الواو، فهو، في هذه الحالة، مأخوذ من النبأ، وهو الخبر، "ويَحتمل أن يكون فعيل بمعنى مفعول، أي هو منبأ بالغيوب، أو بمعنى فاعل أو مفعل، أي هو منبئ بما أطلعه الله تعالى عليه، ويصح ترك الهمزة في هذين الوجهين تسهيلا". أما إذا كتب لفظ النبوة بغير همزة "فهو مأخوذ من النَّبوة، بفتح النون، وهو ما ارتفع من الأرض، يقال: نبا الشيء إذا ارتفع، فالمعنى على هذا أن النبي مرتفع على طور البشر باختصاصه بالوحي وخطاب الله تعالى"[xxxiii].



عرّف الإمام السنوسي المفهوم الاصطلاحي للنبوة بما يلي: " فالنبوة هي اختصاص بسماع وحي من الله بواسطة ملك أو دونه، فإن أمر بتبليغه فرسالة، فالمختص بالأول والثاني(سماع وحي وتبليغه) رسول، وبالأول نبي فقط". وبين الإمام السنوسي أن "الرسول إذن أخصّ من النبي مطلقا، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا"(xxxiv). وبيّن العلامة الماوردي أن الفرق بين الأنبياء والرسل قد جاء بهما القرآن جمعا ومفصلا، في قوله تعالى في سورة الحج، آية (٥٢): "﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ ﴾ ، وذكر مع ذلك أن العلماء على قولين: ينفي القول الأول بوجود فرق بين الأنبياء والرسل، فيعتبر النبي رسولا والرسول نبيا. أما القول الثاني فيثبت باختلافهما؛ "لأن اختلاف الأسماء يدل على اختلاف المسميات، والرسول أعلى منزلة من النبي؛ ولذلك سميت الملائكة رسلا ولم يسموا أنبياء(xxxv).

أ) حكم إرسال الرسل:

حدد الإمام السنوسي أسباب إرسال الرسل وحكمه، وفي توضيحه حكم إرسال الرسل وحكمته، أخبر الإمام السنوسي بأن أهل السنة يرون أن بعث الله تعالى الرسلَ جائز، لأنه لا يجب على الله فعل، وأضاف إلى أن المعتزلة يرون عكس ذلك ويؤيدون أن بعث الله تعالى الرسل واجب، وأن من واجبه تعالى أن يراعي الصلاح والأصلح تجاه البشر(xxxvi).

ب) شروط صحة نبوة الرسول:

ويجب أن تتوافر في مدعي النبوة ثلاثة شروط هي:

١- أن يملك صفات تثبت أهليته للنبوة، مثل:**صدق** لهجته، وظهور **أمانته**، و**فضله**، و**كمال حاله**.

٢- أن يظهر معجزة لا يقدر أن يأتي البشر بمثلها، فيدل ذلك على صحة نبوته وصدق رسالته.

٣- أن يُقرن معجزته بدعوى النبوة؛ لأن إظهار المعجزة فقط يُعتبر تأسيسا للنبوة، ككلام عيسى في المهد تأسيسا لنبوته، ولكن ذلك وحده لا يدل على وجود النبوة أو صدقه؛ لأن المعجزة تدل على صدق دعوى النبوة، والمعجزة بمثابة صفة لها، ولا يجوز إثبات الصفة قبل وجود الموصوف[xxxvii].

ج) عصمة الأنبياء:

وإذا دلت المعجزة على صحة نبوة الرسل وصحة رسالتهم،"وجب تصديقهم في كل ما أتوا به عن الله تعالى، ويستحيل عليهم الكذب عقلا، والمعاصي شرعا، لأنا مأمورون بالاقتداء بهم، فلو جازت عليهم المعصية، لكنا مأمورين بها، قال تعالى في سورة الأعراف، آية ٢٨: "**قل إن الله لا يأمر بالفحشاء**"، واختلف العلماء في عصمتهم قبل النبوة، أما بعد النبوة فقد اجمعوا على عصمتهم من تعمد الكذب في الأحكام[xxxviii].



د) إثبات رسالة النبي محمد(ﷺ):

أخبر الإمام الشوكاني، في إطار تعداده لدلائل ثبوت نبوة محمد(ﷺ)، بأن "الأنبياء متفقون على تصديق بعضهم بعضا، وأن ما جاء به كل واحد منهم هو من عند الله عز وجل"[xxxix]، ثم أتى بأدلة أخذ بعضها من الكتب المقدسة، والروايات التاريخية ليؤيد بأن الأنبياء بشرّوا برسالة النبي عليه الصلاة والسلام، كما نقل في السياق نفسه آيات قرآنية كثيرة من القرآن الكريم، نذكر منها ما حكاه الله سبحانه في سورة الأعراف، آية (١٥٧): ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ ، وكذلك ما حكاه الله سبحانه في سورة الأنعام، آية (١١٤): ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[xl].

وعلى الرغم من ذلك فهناك من ينكرون النبوات بشكل عام، وهؤلاء لا يستثنون النبي(ﷺ) من ذلك، أما مثبتوا النبوات، كاليهود والنصارى، فقد اختلفت الأسباب التي حاولوا أن يبرروا بها منعهم من نبوته عليه الصلاة والسلام. وأكد الإمام الشوكاني أن دلائل نبوة محمد(ﷺ) يطول تعدادها، ويتعسر ذكرها كلها بسبب كثرتها، ولو لم يكن منها إلا القرآن الكريم "الذي جاء من عند الله سبحانه مشتملا على مصالح المعاش والمعاد، وتحدى به فرسان الكلام وأبطال البلاغة، وأفراد الدهر في العلم بهذه اللغة العربية وقال لهم (في سورة هود، آية ١٣): ﴿



قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾، ثم قال لهم (في سورة البقرة، آية ٢٣): ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾، فلم يقدروا على ذلك وعجزوا عن الإتيان بمثله عجزا تاما، وكان أكابر بلغائهم وأعاظم فصحائهم، إذا سمعوا القرآن اعترفوا بأنه لا يشبه نظمهم ولا نثرهم[xli].

ويعتبر العلامة الماوردي القرآن "أول معجز دعا به (صلى الله عليه وسلم) إلى نبوته، فتحدى به الإنس كما تحدى به الجنّ، قال تعالى في سورة الإسراء، آية (٨٨): ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾، وحكى عنهم عجزهم عنه بقوله سبحانه في سورة الجن، آية (١): ﴿ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ﴾، وأخبر أن الجن سمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له. فصدع فيه برسالته، وخُصَّ بإعجازه من جميع رسله، وإن كان كلاما ملفوظا وقولا محفوظا، لثلاثة أسباب صار بها من أخص إعجازه وأظهر آياته"، **أحدها:** أن معجز كل رسول موافق للأغلب من أحوال عصره والشائع المنتشر في ناس دهره، ولما بعث محمد (صلى الله عليه وسلم) في عصر الفصاحة والبلاغة خُصَّ بالقرآن في إيجازه وإعجازه بما عجز عنه الفصحاء، وأذعن له البلغاء، وتبلّد فيه الشعراء، ليكون العجز أقهر والتقصير فيه أظهر. و**الثاني:** أن المعجز في كل قوم بحسب أفهامهم، وعلى قدر عقولهم وأذهانهم، وكان العرب من أصح الناس إفهاما وأحدهم أذهانا، قد ابتكروا



من الفصاحة أبلغها، ومن الآداب أحسنها، فخُصُّوا من معجزة القرآن بما تجول فيه أفهامهم وتصل إليه أذهانهم؛ فيدركوه بالفطنة دون البديهة وبالرواية دون البادرة. و**الثالث:** أن معجز القرآن أبقى على الأعصار وأنشر في الأقطار من معجز يختص بحاضره، ويندرس بانقراض عصره، وما دام إعجازه فهو أحجّ وبالاختصاص أحق[xlii]. وذكر العلامة الماوردي تفاصيل عشرين وجها من أوجه إعجاز القرآن في خروجه عن كلام البشر وإضافته إلى الله تعالى، نقتطف منها ما يلي: **بلاغة ألفاظه** مثل قوله تعالى في سورة البقرة، آية (١٧٩): "**ولكم في القصاص حياة**"، ففي لفظه ومعناه جودة وبهجة وبلاغة لا توجد في قول العرب: "القتل أنفى للقتل"، **استيفاء معانيه**، مثل قوله تعالى في سورة هود، الآية(٤٤): ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ﴾، ويبرز وجه إعجاز هذه الآية في إيجازه واستيفاء معانيه في كلام قليل. ومن الإعجاز أيضا ما تضمنه القرآن من أخبار تنبأ بحدوثه في المستقبل فحدث في الوقت المناسب، كقوله تعالى في سورة القمر، آية (٤٥): ﴿ □ □ □ □ □ ﴾، وأخبرت الآية بهزيمة قريش في حرب بدر قبل وقوعها[xliii]. وكذلك قوله تعالى في سورة الفتح، آية (٢٨): ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨ ﴾، فوقع صدق هذا الخبر، وأظهر الله سبحانه دين الإسلام على جميع الأديان، وكذا قوله في سورة الروم، الآيات (١-٤): ﴿ الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ ﴾، فوقع



ما أخبر به القرآن بعد المدة التي ذكرها. وكذلك قوله تعالى في سورة الإسراء، آية (٨٨): ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ ، وفي سورة البقرة، آية (٢٣): ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ، ومع ذلك فلم يعارض القرآن معارض، ولا جاء بمثل بعضه أحد(xliv).

هـ) رسالة النبي(ﷺ) ودعوته

يقول الله تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) باسم الرسالة، وآمرا له بالإبلاغ بجميع ما أرسله الله به في سورة المائدة، آية (٦٧): ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ ، وقد اتبع الرسول(ﷺ) أوامر ربه وقام به أحسن قيام(xlv). وقد بعث الله النبي(ﷺ) إلى العرب والعجم بدون استثناء، وقال تعالى في سورة سبأ، آية (٢٨): ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ ، فدلت الآية على عمومية رسالته التي أكدها الحديث الوارد في صحيح البخاري برقم ٣٣٥ ومسلم برقم٥٢١: " عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس كافة"(xlvi). وأخبر القرآن الكريم بأن رسالة

محمد(ﷺ) جاءت رحمة للعالمين وقال تعالى في سورة الأنبياء، آية (١٠٧): ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ ، أي أرسله رحمة لهم كلهم، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة، سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها خسر فيهما(xlvii).

و) وجوب طاعة الرسول(ﷺ):

قال تعالى في سورة النور، آية (٥٤): ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤ ﴾ ، وفسره ابن كثير بقوله إن الله أمر باتباع كتابه ورسوله، وحذر من مغبة التولي عنه وترك ما جاء به، وبيّن بأن مسئولية الرسول(ﷺ) تتمثل وتتحدد في إبلاغ الرسالة وأداء الأمانة، وأن من واجب الناس أن يتحملوا كامل مسئوليتهم تجاه دعوة النبي(ﷺ) وأن يقوموا برعايتها ورفع شأنها مع التقيد بتعاليمها(xlviii).وننتقل الآن إلى مبحث السمعيات.

المبحث الثالث: السمعيات:

ونبدأ هذا المبحث بقوله تعالى في سورة البقرة، آية (١٧٧): ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ



وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾، وصف الإمام القرطبي هذه الآية بآية عظيمة من أمهات الأحكام؛ "لأنها تضمنت ست عشر قاعدة" هي: الإيمان بالله، وبأسمائه وصفاته، والنشر والحشر، والميزان والصراط، والحوض والشفاعة، والجنة والنار، والملائكة والكتب، المنزلة من عند الله، والنبيين، وإنفاق المال فيما يعن من الواجب والمندوب، وإيصال القرابة وترك قطعهم، وتفقد اليتيم وعدم إهماله، وكذلك المساكين والسائلين، وفك الرقاب، والمحافظة على الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهود، والصبر في الشدائد[xlix]. تضمنت هذه الآية فعلا، بالإضافة إلى مسائل الإلهيات والنبوات التي قمنا بدراستهما فيما سبق، أبرز الموضوعات المتعلقة بمبحث السمعيات التي سنحاول تحليلها، وهي عبارة عن مسائل نقلية لا سبيل إلى معرفتها أو العلم بها إلا عن طريق الأخبار المنقولة من القرآن أو الحديث[l]. ونبدأ بالحشر الذي عرّفه الإمام السنوسي بعملية "جمع الأجساد وإحيائها، وسوقها إلى الموقف وغيره من مواطن الآخرة"، أما النشر فيعرّفه بعملية "إحياء الأجساد بعد موتها"[li]. وأكد الغزالي أبو حامد أن التصديق بهما واجب؛ لورودهما في الشرع ولكون وقوعهما أمرا ممكنا عقلا، قال تعالى في سورة يس، آية (٧٨ و٧٩): ﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾، فاستدل بالابتداء على الإعادة، وقال تعالى أيضا في سورة لقمان، آية (٢٨): ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا

بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ٢٨ ﴾ ، والإعادة ابتداءٌ ثان فهو ممكن كالابتداء الأول حسب تعبير الإمام الغزالي[iii].

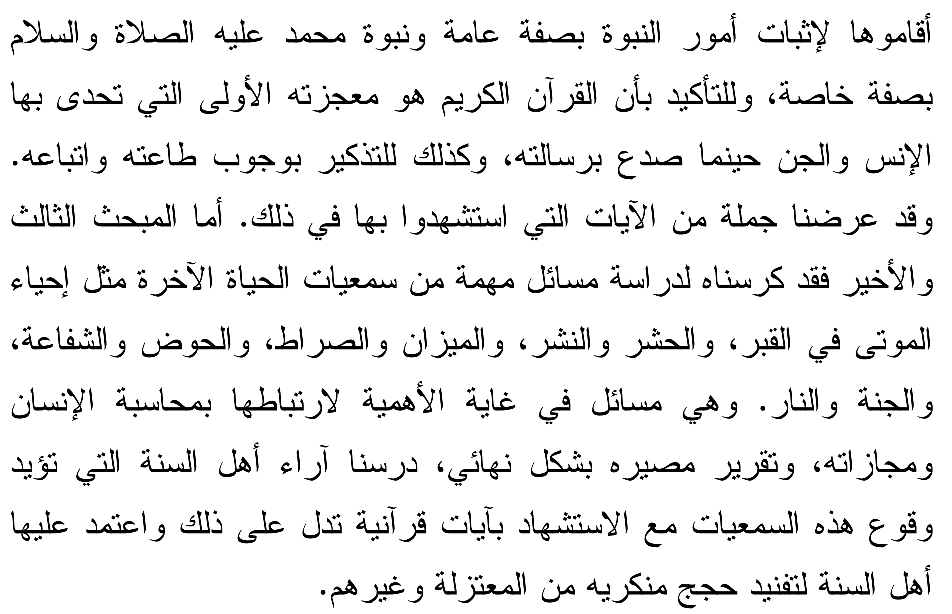
وأكد الإمام السنوسي أن جميع أهل السنة اتفقوا على أن إحياء الموتى في القبر وسؤالهم فيه حق يدل على صحته القرآن، وبالنسبة للسعداء من الموتى، قال تعالى في سورة آل عمران، آية (١٦٩): ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ ﴾. وفي حق الأشقياء من الموتى، قال تعالى في سورة غافر، آية (٤٦):﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ﴾ ، والعذاب الذي تشير إليه الآية لا يصح أن يُقصد به ذلك الذي يحدث بعد الخروج من القبر؛ لأنه لا يتقيد بالغدو والعشي، ولأن الله ميز بين العذابين في سورة غافر، آية (٤٦):﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ ﴾. وحسب الإمام السنوسي، أن جماعة من المعتزلة أنكر خلق عذاب القبر والمسألة فيه، ورد الأرواح فيه إلى الأجساد، وقالوا: من مات فهو ميت في قبره إلى يوم القيامة[iiii]. وأيد الإمام الغزالي صحة الميزان، ويرى "أن الله تعالى يُحدث في صحائف الأعمال وزنا بحسب درجات الأعمال عنده تعالى، فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب"، والدليل على صحته قوله تعالى في سورة الأنبياء، آية (٤٧): ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧ ﴾ ، ويرى الإمام الغزالي أن الصراط حق، وعرّفه بجسر ممدود على متن جهنم أرق



من الشعر وأحد من السيف، والدليل على صحته قوله تعالى في سورة الصافات، آية (٢٣ و ٢٤): ﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾. ويرى الإمام الغزالي أن الجنة والنار مخلوقتان، والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة آل عمران، آية (١٣٣): ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (liv).

الخاتمة:

رجعنا في مختلف مراحل البحث إلى عدد كبير من الآيات القرآنية التي بنى عليها علماء التوحيد والكلام آراءهم وأفكارهم حول الإلهيات والنبوات والسمعيات، وأدركنا أنهم أقاموا حججهم على نفس الآيات القرآنية في الوقت الذي استعملوا مناهج ووسائل في فهمها وتفسيرها، تختلف حسب اختلاف الاتجاهات المذهبية والفكرية الخاصة بكل فرقة أو تيار. ففي مجال الإلهيات، على سبيل المثال، استند أهل السنة والمعتزلة على آية (١١) من سورة الشورى: "**ليس كمثله شيء**" للتأكيد بأن الله فرد لا نظير له، لا يشبه شيء من مخلوقاته ولا يُشبَّه به، ولكن العلماء يختلفون تماما في فهم وتفسير "السميع البصير"، فبينما يعتبرهما أهل السنة من صفات الله الزائدة على ذاته القائمة به، نفى المعتزلة والجهمية والخوارج كونهما صفات لله، وأنكروا أن يكون لله صفات المعاني. وقد نسجوا على هذا المنوال فيما يخص معظم آيات الأسماء والصفات التي يؤوّلها المعتزلة ونظراؤهم في الغالب تمشيا مع مذهبهم في تعطيل صفات المعاني بينما يوضحها أهل السنة بطريقة تتواءم مع رأيهم في الإثبات دون اللجوء إلى مناورات فكرية ولغوية معقدة. ويدل هذا التنوع والتفرع في فهم القرآن الكريم على شموليته واستمراريته، وعلى عظمة رسالة النبي الذي أُنزل عليه، وهو موضوع المبحث الثاني الذي عالجنا فيه آراء علماء التوحيد والعقيدة حول أحوال النبوة وحقائقها، وتطرقنا إلى الحجج التي



أقاموها لإثبات أمور النبوة بصفة عامة ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام بصفة خاصة، وللتأكيد بأن القرآن الكريم هو معجزته الأولى التي تحدى بها الإنس والجن حينما صدع برسالته، وكذلك للتذكير بوجوب طاعته واتباعه. وقد عرضنا جملة من الآيات التي استشهدوا بها في ذلك. أما المبحث الثالث والأخير فقد كرسناه لدراسة مسائل مهمة من سمعيات الحياة الآخرة مثل إحياء الموتى في القبر، والحشر والنشر، والميزان والصراط، والحوض والشفاعة، والجنة والنار. وهي مسائل في غاية الأهمية لارتباطها بمحاسبة الإنسان ومجازاته، وتقرير مصيره بشكل نهائي، درسنا آراء أهل السنة التي تؤيد وقوع هذه السمعيات مع الاستشهاد بآيات قرآنية تدل على ذلك واعتمد عليها أهل السنة لتفنيد حجج منكريه من المعتزلة وغيرهم.

وعلى العموم فإن ورقتنا تعكس، بالدرجة الأولى، روح التوحيد والعقيدة التي استوحاها علماء هذا الفن من القرآن الكريم الذي يدعو كافة الناس إلى النظر والاجتهاد في تنمية تفكيرهم العلمي. ونحيي في النهاية مبادرة جامعة إفريقيا العالمية بتنظيم **الملتقى العالمي لإسهامات القرآن الكريم في بناء الحضارة الإنسانية**. ويمثل هذا الملتقى، في الواقع، خطوة عملاقة نحو تهيئة ظروف طلوع فجر حضارة إسلامية جديدة، ينعم من ثمراتها العالمُ كلُّه، وتُنقذ البشريةَ من براثن الأزمات التي تكاد تقضي عليها، ولا شك في أن شمس الحضارات لا تشرق إلا في بيئات تزدهر فيها العلوم والمعارف. ونأمل من جامعة إفريقيا العالمية أن تقوم



بطبع أعمال الملتقى ونشرها في مكتبات العالم، وأن تنظم باستمرار ملتقيات عالمية مماثلة؛ لأنها مصدرٌ للإنتاج العلمي الممتاز، ومَحفَلٌ يجمع علماءَ العالم الإسلامي وغيرهم لمدارسة قضاياهم واقتراح حلول لها، مع تعاون في وضعها موضع التنفيذ؛ ولأن حصادها العلمي والفكري بمثابة وقود يزوّد لمحركات التنمية والتعمير المقامة في مجتمعاتنا، طاقة عالية الجودة تقودها بسرعة إلى أعلى درجات التقدم والرقي والرفاهية.



الهوامش والإحالات المرجعية

---

١. مجموعة مؤلفين، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ص ١٦.
٢. السنوسي محمد بن يوسف، شرح السنوسية الكبرى، ت عبد الفتاح بركـة، دار القلـم، الكويت، ١٩٨٢، ص ٦٧.
٣. ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، بلا تاريخ، ص٤٥٨.
٤. الجرجاني علي بن محمد الشريف، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥، حرف ت، ص ٧٣.
٥. ابن تيمية تقي الدين: التفسير الكبير، تحقيق عبد الـرحمن عميـرة، ج١، دار الكتـب العلمية، بيروت، بلا تاريخ، ص ٣٠٩.
٦. ابن تيمية، المصدر السابق، الصفحة نفسها.
٧. الجرجاني علي بن محمد الشريف، كتاب التعريفات، المصدر المذكور سابقا، الصفحة نفسها.
٨. ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق محمد حامد الفقـي، دار الكتـاب العربـي، بيروت، ١٩٧٢، ج١، ص ٢٦-٢٧.
٩. القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري، الجـامع لأحكـام القـرآن، مطبعـة دار الكتـب المصرية، القاهرة ١٩٥٤، المجلد١، الجزء الثاني، ص ص ١٩٠-٢٠٣، انظر أيـضا ابن كثير أبو الفدا إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢، الجزء الأول، ص ص ٢٠١-٢٠٢.
١٠. القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، المصدر المذكور سـابقا، المجلد السادس، ج١١، ص ص ٢٧٨-٢٧٩، ابن كثير أبو الفدا إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، المصدر المذكور سابقا، الجزء الثالث، ص ١٧٥.
١١. القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، المصدر المذكور سـابقا، المجلد الثامن، ج١٦، ص ص ٧-٩، ابن كثير أبو الفدا إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، المصدر المذكور سابقا، الجزء الرابع، ص ١٠٨.

١٢. الشهرستاني محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق محمد كيلاني، دار صعب، بيروت، ١٩٨٦، ج١، ص٤٢-٤٣، ابن تيمية تقي الدين، كتاب الأسماء والصفات، دراسة وتحقيق مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، ج١، ص ص ٦٧-٧١.
١٣. القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، المصدر المذكور سابقا، المجلد الأول، ج١، ص ١٠٢.
١٤. البيهقي أبو بكر، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، عالم الكتب، ١٩٨٥، ص ص٤١-٤٢.
١٥. البيهقي أبو بكر، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، المصدر المذكور سابقا، ص ص ٤٢-٤٣.
١٦. البيهقي أبو بكر، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، المصدر المذكور سابقا، ص ص٤٥-٤٧.
١٧. ابن تيمية تقي الدين، الفتاوى الكبرى، الجزء الخامس، ج٥، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨ه/١٩٧٨م، ص ص ٩-١٠.
١٨. ابن تيمية تقي الدين، الرسالة التدمرية، مجمل اعتقاد السلف، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨ه، ط٤، ص٧.
١٩. ابن تيمية تقي الدين، الرسالة التدمرية المصدر المذكور سابقا، الصفحة نفسها.
٢٠. ابن تيمية تقي الدين، الرسالة التدمرية المصدر المذكور سابقا، ص ٨.
٢١. ابن تيمية تقي الدين، الرسالة التدمرية المصدر المذكور سابقا، ص ١٤.
٢٢. ابن تيمية تقي الدين، الرسالة التدمرية المصدر المذكور سابقا، ص ص ١٤-١٥.
٢٣. ابن تيمية تقي الدين، الرسالة التدمرية المصدر المذكور سابقا، ص ص ١٥-١٦.
٢٤. أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٠، ج١، ص ص ٢١٦- ٢١٧.
٢٥. أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المصدر المذكور سابقا، ج١، ص ص ٢٢٤-٢٢٥.
٢٦. أبو الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٢٢.
٢٧. أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المصدر المذكور سابقا، ج١، ص ٢٣٦.
٢٨. أبو الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، المصدر المذكور سابقا، ص ١٤.

---

٢٩. عبد الجبار أبو الحسن، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق محمود محمد قاسم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥، ج٤، ص ٢١٥.
٣٠. أبو الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، المصدر المذكور سابقا، ص ٢١.
٣١. عبد الجبار أبو الحسن، المغني في أبواب التوحيد والعدل، المصدر المذكور سابقا، ج٥، ص ص ٨٦-٨٧.
٣٢. أبو الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، المصدر المذكور سابقا، ص ٢٣.
٣٣. السنوسي محمد يوسف، شرح السنوسية الكبرى، المصدر المذكور سابقا، ص ٣٤٩.
٣٤. السنوسي محمد يوسف، شرح السنوسية الكبرى، المصدر المذكور سابقا، ص ٣٥٠.
٣٥. الماوردي أبو الحسن علي بن محمد، أعلام النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣٤.
٣٦. السنوسي محمد بن يوسف، المصدر المذكور سابقا، ص٣٥٠، انظر أيضا السنوسي، شرح أم البراهين في علم الكلام، تحقيق وتعليق مصطفى محمد الغماري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩، ص٥٧.
٣٧. الماوردي أبو الحسن علي بن محمد، أعلام النبوة، المذكور سابقا، ص٢٥.
٣٨. السنوسي محمد بن يوسف، المصدر المذكور سابقا، ص ص٣٧٠-٣٧١
٣٩. السنوسي محمد بن يوسف، المصدر المذكور سابقا، ص ص٣٧٠-٣٧١.
٤٠. الشوكاني محمد بن علي، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوّات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤، ص٢٥.
٤١. الشوكاني محمد بن علي، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوّات، المصدر المذكور سابقا، ص ص ٢٥-٣٥.
٤٢. الشوكاني محمد بن علي، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوّات، المصدر المذكور سابقا، ص ٣٥-٤٨.
٤٣. الماوردي أبو الحسن علي بن محمد، أعلام النبوة، المذكور سابقا، ص ص ٣٥-٣٦.
٤٤. الماوردي أبو الحسن علي بن محمد، أعلام النبوة، المذكور سابقا، ص ص ٣٦-٦٩.
٤٥. الشوكاني محمد بن علي، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوّات، المصدر المذكور سابقا، ص ٥٠-٥١.



٤٦. ابن كثير أبو الفدا إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، المصدر المذكور سابقا، الجزء الثاني، ص ص ٧٧-٧٨.

٤٧. ابن كثير أبو الفدا إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، المصدر المذكور سابقا، الجزء الثالث، ص ص ٥٣٨-٥٣٩.

٤٨. ابن كثير أبو الفدا إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، المصدر المذكور سابقا، الجزء الثالث، ص ص ٢٠١-٢٠٢.

٤٩. ابن كثير أبو الفدا إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، المصدر المذكور سابقا، الجزء الثالث، ص ص ٢٩٩-٣٠٠.

٥٠. القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، المصدر المذكور سابقا، المجلد الأول، ج١، ص ص ٢٣٧ -٢٤٤.

٥١. عبد القادر محمد أحمد، عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٦، ص ١٦٧.

٥٢. السنوسي محمد بن يوسف، السنوسية الكبرى، المصدر المذكور سابقا، ص٣٩٤-٣٩٥.

٥٣. الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢، ج١، ص ١١٤.

٥٤. السنوسي محمد يوسف، السنوسية الكبرى، المصدر المذكور سابقا، ص ٤٠١.

٥٥. الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، المصدر المذكور سابقا، ص ص ١١٤-١١٥.

